# كابوس

**ما أصعب أن نعيش في دائرة من الألم ، لا نجد منها فرارا او مخرجا..**

**استيقظت وقد بللها العرق ، وذلك الكابوس القاسي يسحقها .. لماذا هناك كوابيس تطاردنا طوال الحياة ؟ وقد تصبح زائرا لا ينقطع حتى أننا نفتقدها برغم الألم ، كثيرا ما نسأل متى تنتهي هذه الكوابيس؟ فقلبي لم يعد يحتمل هذا السيل الجارف من الألم..**

**استفاقت من شرودها على صوت رنين الهاتف وقد صاحبه صوت الآذان**

**نظرت للهاتف ووجدت أنه أخيها إبراهيم.. انقطع الرنين ثم عاد مرة اخرى.. وردت بصوت مرهق**

**- نعم إبراهيم ماذا هناك؟ فلم تشرق الشمس بعد ، هل أصاب أحدكم مكروه؟**

**- صباح الخير فاطمة.. لا ولكن أخانا علي، توفاه الله..**

**ولم تجب...**

**فاطمة اتسمعينني؟**

**أجابت بصوت واهن: نعم سمعتك .. ماذا تريد ؟**

**أجابها بتردد ..أريد منك الحضور لتوديعه فقد كان طلبه الأخير وهو على فراش الموت أن يراك ولكنكِ رفضتِ برغم مرضه واليوم أطلب منكِ أن تسامحيه قبل أن نوسده الثرى ...**

**- لا أستطيع الحضور ..**

**- فاطمة وهذا رجاء خاص منى لكِ**

**وبعد صمت طويل أجابت بتردد: حسنا ..سأتواجد في العاشرة ..**

**أغلقت الهاتف وجلست متقوقعة على فراشها واكتشفت أن جسدها ينتفض كالطير الذبيح ..**

وراحت تعصف بها الأفكار... لا لن أذهب لا استطيع أن أنظر إلى هذا الوجه بعد كل تلك السنوات ... أكثر من ثلاثين عام لم أره إلا في الكوابيس ...

ولكن إكراما لإبراهيم يجب أن أذهب ..

وقبل الميعاد بنصف ساعة أصبحت جاهزة ... ركبت سيارتها وصلت بعد العاشرة وجدت أخاها ينتظرها أمام البيت ... وقد عم الصمت بينهم ودخلت على أخيها إلى الحجرة بمفردهما..

رفع الغطاء عن وجهه وقفت تنظر بقلب مكلوم ولم تتخيل إن هذا سيكون شكله وقد عبث به الزمان وأصبح أقرب إلى الهيكل العظمى ..

وتنهدت بصوت مسموع وعادت تنظر إلى وجهه ..

وتمتمت بصوت هامس ..

- قد سامحتك علي ...

أرجو ان يغفر الله لك... التفتت إلى أخيها إبراهيم

**- أشكرك لإنك صممت على حضوري اليوم قد تخلصت من شبح الماضي بعد أن ظل يطاردني كل تلك السنوات ... وخرجت من الحجرة إلى باب الشقة..**

**لحقتها زوجة أخيها لمَ العجلة؟ عليك البقاء ... ولكنها إعتذرت..**

**وركبت سيارتها ولم تستطع العودة لوحدتها في المنزل جلست في كافيتريا على النيل وكان شهر يناير ببرودته ورائحة مطر الأمس تعطر الجو وتبعث على الأمل..**

**طلبت فنجانا من القهوة وراحت تراقب قوارب الصيد وهي تهتز في إيقاع ثابت على صفحة النيل يهدهدها كما تهدهد الام وليدها ..**

**- آه لو أن حياتي كانت بتلك الرتابة والسكون ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه...**

**وراحت تسترجع حياتها فقد كانت حتى سن الثامنة طفلة سعيدة تلهو تلعب .. وكان لها اخا في السادسة والعشرين وأخا في العشرين وقد انجبتها امها بعد ان تخطت الاربعين بثلاثة أعوام ..**

**وكانت تعتبر غلطة أمها ونعمة لأبيها ... طفلته المدللة .**

**تتذكر رائحة عطره واستنشقت الهواء بعمق فتسلل الى داخلها ناعم كتلك النسمة التي تحيط بها ..**

**ذكرها بقبلة أبيها على خدها كل صباح... حتى كانت تلك الساعة المشؤمة التي حولت حياتهم إلى جحيم...**

**يوم اتصلوا بوالدها في العمل أخبروه أن ابنته في حالة خطيرة وتم نقلها إلى المستشفى ... تخيل أبوها كل الأشياء حادث سيارة أو سقوط من السلم ..**

**ولن أنسى ما حيت وجه أبى يوم أخبره بكل شيء..**

**وأخبره الطبيب أنها تعرضت لاعتداء جسدي و تعرضت لكسور بأجزاء متفرقة من جسدها الصغير ... وستأخذ وقت طويل حتى تتعافى.. وهناك أمر آخر ..**

**والتفت أبوها إلى الطبيب ماذا هناك؟**

**همس الطبيب في أذنه بكلمات واستمعت له ..**

**هو يسأله هل تريد الإبلاغ؟**

**واكفهر وجه أبيها وكأنما أصبح بلون الطمى الذي تلهو به في الحقول وجلس على الكرسي المجاور للسرير وراح يستعذ بالله..**

**وسأله الطبيب كيف يحدث هذا؟**

**أليس لك زوجة في البيت؟ ألم تلاحظ أي شيء؟**

**لابد من إبلاغ الشرطة ..**

**وسمعت صوت أبيها منخفضا وكأنه يأتي من واد سحيق ... ليّ رجاء ..**

**فلتبلغ عن حادثة الضرب ... أما الثانية فلا ، فكفاني ما أنا فيه رجاء ... ولكني أعدك أن يسجن ويعاقب على أذيتها وادمانه وإن أبعدها عنه نهائيا .. أرجوك فأنت تعرف كيف يفكر الناس وتعرف أين نعيش ..**

**خرج الطبيب بعد أن وعده والتفت أبي يسألني لماذا لم تخبريني؟**

**لم أجب ... ماذا أقول هل أخبره أن أمي حذرتني من أن أخبر أحدا ...قائلة : إذا عرف أبوك قد يقتل أخيك.. حاولت**

**أن تبعدني عنه ... ولكنه كان يدخل غرفتي في الليل بعد أن ينام الجميع ... كان يأتي متأخرا وهو يتمايل من المخدرات غير واع لأي شيء .. وفضلت الصمت حتى البكاء لم استطعه ، لمسني أبى فانتفضت فأغمض عينيه ولم يستطع التنفس كأن الهواء قد احتبس في صدره.. وهمس ... آسف صغيرتي لم أفهم يوم كنت تأتين لي باكية وتصممين على النوم بجانبي طوال الليل..**

**وراح يبكي ودخلت أمي جلست جانبها باكية وانفجر الأب لماذا تبكين ألم تعرفي ما يحدث في بيتك..**

**وتحت ضغط الأب اعترفت الأم أن ابنها المدمن حاول أن يأخذ منها بعض النقود ودفعها بعنف ولكن فاطمة دافعت عنها فما كان منه إلا أن دفعها بقوه فسقطت وحين راحت تصرخ بلا تفكير دفعها من باب الشقة فسقطت على السلالم وراحت تقسم على زوجها ألا يبلغ الشرطة عنه أنه مريض مدمن ... نظر لها الأب بأسى أتظنينني أتحدث عن حادث الضرب ؟! أنت تعرفين عن ماذا أتحدث ...**

**لم تجب وقد نظرت للأرض وراحت تجادله مبررة أفعال ابنها علي ..**

**- إنه مدمن والإدمان يذهب بعقله ولكن حين يستفيق يصبح إنسانا جيدا ... صبرا فقط يحتاج إلى علاج ..**

**نظر بأسى وانتفض بغضب ... لقد اكتفيت ... المال والتطاول ... وقد تحملته أما ما يحدث مع فاطمة فلا وألف لا فقد حاولت معه بكل الطرق..**

**والتفت لي ... لماذا لم تخبريني لماذا اكتفيت بالبكاء؟ ... وحين أبلغ الطبيب عن حادث الضرب وشهد أبوها ... ثارت أمها... إنه ابنها الكبير سندها... كثيرا ما جلست أفكر ... أي سند هذا الذي تتكلم عنه تلك ؟! ..**

**إنه عار استهلكهم ماديا والآن يمارس العنف على أمه وتسامحه ... ثم ما ذنب تلك الصغيرة..**

**وتم القبض عليه وكانت قضية وحكم عليه بسنوات من السجن لاعتدائه على أخته بالضرب ولإدمانه....**

**ولأنهم كانوا في الريف فقد أصبحوا مضغة في الأفواه ما بين شامت وناقم على الأب كأنه أجرم لأنه أبلغ على ابنه لماذا لا يفهمون ألم يفهموا أن للقضية بعدا آخر ؟! ... ولكننا في مجتمع يقول مالا يفعل ويفعل ما يخالف أقواله.. فلن**

**يقول لهم إنه ينقذ ابنته وزوجته وغيرهم من الناس.. فلماذا هذا النظرة القاصرة ؟! .. وصمم الأب أن يترك البلد ويذهب للمدينة ..**

**وصممت أمي على الطلاق ورفضت الرحيل..**

**والغريب أن أمي لم تحاول رؤيتي.. برغم أن هذا الحادث أثر في أكثر من الجميع فقد تحطمت نفسيتي واكتأبت روحي .. والأهم خضعت للعلاج أكثر من عام من عمليات ومسامير حتى تعافيت..**

**أما أخي إبراهيم فقد كان همزة الوصل التي لم تنقطع بيننا وبين أمي وكان نعم الأخ ..**

**سافر إبراهيم للعمل بالخارج فقد كان حزينا من أمي وتصرفاتها وحبها غير المشروط لهذا الأخ العاق ..**

**وبعد أن توفى أبى وكنت قد أنهيت دراستي الثانوية.. صمم إبراهيم أن أسافر لاستكمال تعليمي معه ونحن في الخارج أرسلت أمي لأخي لتعلمه بان على خرج من السجن وتطلب منه بعض المال ليساعده على بدء عمل جديد وقد كان ... ولم تسأل عنى أيضا فقد كانت مقتنعة إنى السبب في تفكيك**

**شمل الأسرة مع اعتقاد راسخ إنى من أخبرت أبى عما حدث ... فكرت أن أخبرها أنى لم أخبر أحدا عن أفعاله.. فقد اكتشفها الطبيب بنفسه ... توفيت أمي قبل أن نعود للقاهرة .. ولم أستطع سؤالها لماذا لما تحاول حتى أن تسألني ...**

**نجحت في حياتي والحمد لله وأصبحت أعمل بمركز جيد واكسب الكثير ولى شقة رائعة ولكنى وحيدة فلم أستطع الزواج بعد أن أصبحت أخشى أي علاقة مع الطرف الآخر.. ما أصعب ان اعيش وقد اصبحت مستهلكة نفسيا ..**

**واليوم قد اكتشفت إنى عكس كل الناس لم يكن كابوسي حلما استيقظ منه في الصباح بل كان حلما أعيشه منذ سنوات واليوم تخلصت من هذا الكابوس...**

**اليوم استيقظت ...**

**واتمنى أن اشفى من ندوب النفس كما شفيت من ندوب البدن**

**وخرجت أسيرعلى ضفاف النيل واستنشق الهواء المحمل بالأمل ...**